قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ رواه مسلم

البنـاء العلمي

البناء العلمى

المرحلة الثانية

الفصل الدراسى الأول

تفسير جزء تبارك

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.



تابع سورة القلم.

- وَقَفَ بنا الكلام في سورة القلم، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ، ثمَّ ذكر الله بعد ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ، فذكر الله مَا آل إليه أصحاب الجنَّة وكيف عُوقبوا، ثم أنَّهم لما عَلموا بخطيئتهم ندِموا وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، إلى آخر ما قصَّ الله تعالى من خبرهم.

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ مِن حكمة الله أنَّه يُعطي مَن يشاء بفضله، ويُعاقب مَن يشاء بعدله، ولا يظلم ربنا أحدًا.

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ لا يستويان مَثَلًا، وتأبى حِكمةُ الله -عزَّ وجلَّ- أن يكون هؤلاء كهؤلاء، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الجاثية: 21]، ما يكونون! الظلماتُ مَا تَستوي مَعَ النَّور، ولا الظلُّ ولا الحرور، هذان متضادان، فللمسلمين جزاء وثواب، وللمجرمين جزاء وعقاب، وكل ذلك بفضل الله تعالى للمؤمنين، وبعدله مع المُخالفين.

- قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ، أي أنَّ هؤلاء المجرمون بماذا يحكمون بأنفسهم، وبأيِّ حجَّةٍ يدافعون عن باطلهم؟.
- قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ، يعني: هل لكم كتاب درستم فيه أنَّكم على حقّ، وعلى هدًى، وأنَّ من خالفكم على ضلالة؟ كل هذا تخرُّصٌ وأسلوبُ عنادٍ من باب ردّ الحق، وإحقاقِ الباطل.
- قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هَب أنَّ لكم كتابًا كما تزعمون، فتخيروا إذن ما شئتم. فأنتم على ضلالٍ ليس لكم حجّة، وليس لكم برهانٌ، وكل ما تقولون وتفعلون مِن دواعي الشَّيطان والكبر، فدائمًا صاحب الكبر يَلتمس أي حُجَّة في سبيل إقرار باطله، قال تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: 56]، ولهذا دائمًا صاحبُ الباطِل اللَّجوجُ في باطله لا يستسلم ولا ينقاد للحق، بل يستميت في التماس أي حُجَّة وأي شبهة حتى يَمتطيها في ردّ الحق، ولهذا وصفهم الله تعالى في غير آية بعدم العقل، قال ﴿لَا

يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: لأنَّهم تركوا طريق الصواب، ولم يُحكِّموا عقولهم ببيّنة، بل اتَّبعوا أهواءهم وما تهوى أنفسهم.

- قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: هل لكم عُهود ومواثيق في زعمكم هذا؟ أنتم الآن مُصرِّون على باطلكم. ما الذي دعاكم للباطل؟ هل عندكم كتاب فيه هذا الأمر؟ هل عندكم منَّا مواثيق وعهود على ما أنتم عليه؟.
- قال تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ مَن الكفيل ومَن الضَّامن لكم؟ من المُدافع عنكم؟ مَن تكفَّل لكم بأنَّكم على حقّ وضَمِنَ لكم النَّجاة من عذاب الله؟
- قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فهؤلاء الشركاء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فضلًا عن أن يدافعوا عن غيرهم.
- قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ فهم ما تركوا سبيلًا ولا حجَّة ولا شبهة إلا لَبِسوها في سبيل ردّ الحق، فليس لكم عَلينا أيمان ولا عهود، ولا مواثيق، وليس لكم ضامن يضمن لكم النجاة، ولم ينزل عليكم كتاب، إنَّما كل هذا بما تهوى أنفسكم.
- ثم قال ربُّنا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ جاء في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه- أنَّ يوم القيامة: "يكشِفُ رَبُّنا عن ساقِه، فيسجُدُ له كلُّ مؤمنٍ ومُؤمنةٍ"[1]، إلا مَن أبى السجود، "فيكون ظهره كصياصي البقر، لا يستطيعون"[2]، والسَّاق صفةٌ لله تعالى تليق به، والقاعدة: القولُ في صفةٍ كالقول في سائر الصِّفات، وما أثبته الله تعالى لنفسه نُثبته حقيقةً دون تشبيهٍ أو تكييفٍ أو تمثيلٍ.
- قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ فأبصارهم خاشعةٌ من الذُّل، ويُرهقهم ذلُّ المعاصي، فذل المعاصي إذا لبسه أو كُسي به الشخص يكون عقوبة مِن الله وعلامة الخسران.

وقد كانوا في الدنيا يُدعون إلى السجود وهم سالمون، والحقُّ أبلج، لكن لمَّا كابروا وعاندوا، كان جزاؤهم كما قال الله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

والجزاء من جنس العمل. فهم عاندوا في الدنيا، فلم يُوفَّقوا في الآخرة، ومَن أطَاعَ في الدنيا، وُفّق في الآخرة.

- قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن الكريم يسمى "حديثًا" في آيات كثيرة، ومنها: ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الاستدراج: أن يفيء عَليهم مِن نعم الدنيا كالمال والبنين والمساكن والضياء والأصحاب؛ فبهذا الاستدراج يظن أنه في قوَّة وفي خير وعلى هدى.

---

[1] صحيح البخاري (4919). ولفظه" يكشِفُ رَبُّنا عن ساقِه، فيسجُدُ له كلُّ مؤمنٍ ومُؤمنةٍ، ويبقى كلُّ من كان يسجُدُ في الدُّنيا رياءً وسُمعةً، فيذهَبُ لِيَسجُدَ، فيعودُ ظهرُه طبقًا واحدًا ".

[2] اللفظ: " وتبقَى أقوامٌ ظهورُهم مِثل صياصي البقرِ فيريدونَ السجودَ فلا يستطيعونَ " صعفه الألباني في تخريج كتاب السنة (630).

- قال تعالى: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولهذا ورد في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُملي للظَّالِمِ»[3] يعني بنعمه وخيراته «فإذا أخذَهُ لم يُفلِتْهُ» ، وما يسبغه الله على الشخص مِن نعم قد تكون رفعة له، وقد تكون عقوبة عليه، فإذا وظَّفها في طاعة الله فهي رفعة له، أمَّا إذا وظَّفها في معصية الله فهي عقوبة وحجَّة عليه.
- قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ إذا أخذ الله أحدًا أخذه كما وصف في قوله: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 42]، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: 18]، يعني: قد يتوعدك في الدنيا صاحبُ جاهٍ وسلطانٍ وقوَّة، لكن قد لا يستطيع أذيتك، فقد يموت، وقد يَنسى، وقد يَضعف، وقد تَفر أنت منه، أمَّا في شأن الله لا مَفرَّ مِنَ الله إلَّا إلى الله.
- قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ يعني: أنت الآن هل سألتهم أجرًا على دعوتك لهم وتثاقلوا هم هذا الأجر؟ لم تطلب منهم مالًا، ولا متاعًا من متاع الدنيا، وليسوا غارمين، فلماذا يتثاقلون؟ فكل شيء ميسر لهم، لكنَّ العناد ركب رءوسَهم.
- قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ، يعني هل يعلمون الغيب حتى يضمنوا نجاة أنفسهم؟ وهذه كلها قواطع لباطلهم.

قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾، أي: يكتبون مصيرهم ومآلهم، ما عندهم شيء، لكن الكبر والحسد يعمي صاحبه، ويجعله يرى الأمور منكوسة، وهذا من عقوبة الله وعدله.

- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الحكم هنا حُكمان: الحُكم القدري، والحكم الشرعي، وكل مسلم مأمور بأن يصبر لهذين **الحكمين.**
  - ❖ الحكم القدري: مَا يُصيبك مِنَ المصائب في الدنيا مِن أقدار الله، اصبر لا تتجزَّع، لا تتسخَّط، لا تعترض على قضاء الله وقدره، هذا الصَّبر على الأحكام القدريَّة.
  - ❖ الصبر على الأحكام الدينية يكون بامتثال الأوامر واجتناب النواهي بالتسليم والقبول والانقياد وعدم الحرج، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: 65]، لاحظ قال: ﴿حَرَجًا﴾ وهي نكرة، أي: لا يكون لديك أدنى مثقال ذرة مِن الحرج، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] يعني الانقياد، وعدم الممانعة، بدون توقف أو تردد.
- قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يونس بن متى -عليه الصلاة والسلام- أُلقي في بطن الحوت.
- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، أي: مهمومٌ مغمومٌ.

القصة: لمَّا ذَهَبَ مغاضبًا مِن قَومه حينما عاندوه وكابروا، ركب في سفينة فكانت السَّفينة فيها ثِقل، فاقترعوا من أن ينزل أحدهم في البحر لتكون السَّفينة على مقدارهم، فوقع السَّهم على يونس -عليه السلام- فلمَّا نزل في البحر التقمه الحوت.

---

[3] صححه الألباني في صحيح ابن ماجة (3261).

فَنَادَى في الظلمات، قيل الظلمات هي: ظلمة الليل، والبحر، وبطن الحوت. فقال: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

- قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كل شيء لا يكون إلا بتوفيق الله، لا يكون شيء مِن خَير في هذه الدنيا، ولا رفع بلاء، إلا إذا شاء الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29].
- قال تعالى: ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ ، العَرَاء: هو الأرض الخالية الجرداء، ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنَّ الله اجتباه وتاب عليه، ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قال بعضهم: من شدة نظرهم، أي: ينظرون شزرًا بحقد وعداوة للنبيِّ -عليه الصلاة والسلام- إذا قرأ القرآن الكريم.

  والنظر الشزر يؤذي المنظور إليه، وهؤلاء الكفار إذا رأوا النبي -عليه الصلاة والسلام- ورأوا أصحابه نظروا إليهم نظر شزر، يعني مَكمنُ عداءٍ بَرَزَ في نظرهم له، يعني: قد يخرج العداء باللسان فَيَتَلفظ، وقد يخرج العداء بالجوارح فَيَضْرِب، وقد يخرج العداء بالإعراض، وقد يخرج العداء الكامن في النِّفس بالنَّظر.

  وقال بعضهم: إنَّ المراد هنا العين، يصيبونك بأعينهم، والعين كما نعلم حق، ولكنَّها لا تضر إلا بإذن الله، فَتُدخل الرجل القبر، والجمل القِدر.
- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ يعلمون أنَّه أعقل العقلاء، وهذا العلم علم يقيني عندهم ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146]، ولكن: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].
- قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، أي كل العالمين.

سورة الحاقة.

- الحاقة سورة مكيَّة، وهي اثنتان وخمسون آية، وورد فيها حديث لكن لا يصح: "من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابًا يسيرًا".
- وسورة الحاقة بدأها الله تعالى بقوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ، والحاقة: هي اسم من أسماء يوم القيامة، والقيامة لها أسماء كثيرة، منها: القارعة، الحاقَّة، الطَّامَّة، الصَّاخَّة، إلى آخره.

  هنا يقول: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ العرب في بدء الكلام بالاستفهام تُشوّق السَّامع إلى معرفة ما بعد الاستفهام، وهذا الأسلوب كثيرٌ في القرآن الكريم، يجعل السَّامع يتنبه ويتيقَّظ مما سيقال له، وهذه من أنفع الطرق لترسيخ العلم في أذهان السَّامعين.

  فالاستفهام في صدر الكلام يجعل السَّامعين يتنبهون ويتيقَّظون أكثر، لاحظ أنَّ القرآن الكريم فيه كثير من هذا الأسلوب ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1، 2]، ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾ في ثنايا الكلام ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: 16، 17]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: 19].
- قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ إذا جاء في القرآن: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [الحاقة : 3، المدثر: 27، المرسلات: 14، الانفطار: 17، 18، المطففين: 8، 19، الطارق: 2، البلد : 12، القدر: 2، القارعة: 3، القارعة: 10، الهمزة: 5]،

فقد أخبره ربه بالجواب، أمَّا إذا جاء ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [الأحزاب: 63، الشورى: 17، عبس: 3]، فقد أخفى الله عنه الجواب.

قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ ، أساليب استفهام غرضها التشويق لما سيكون بعدها، إذن نستفيد أنَّ طالب العلم، أو الواعظ، أو المتكلم: يحاول أن يُضمِّن كلامه استفهامًا يجيب عليه، أو يجعل السَّامعين يشاركونه في الجواب، فيكون ذلك أرسخ في أذهانهم.

- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ تكذيب الرسل، وما وعدوا به، وما أخبروا به من أمور العقائد، هذا دأب أعداء الرسل دائمًا.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾، ثمود هم قوم صالح، وديارهم الحِجر، ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هم هود.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، يعني بالقيامة، كما كذبت قريش بالبعث، فكان الجزاء من جنس العمل لما كذبوا وأنكروا وجحدوا.

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، وقد جاء في سورة الأعراف، وسورة هود تفصيل لما أصابهم، يعني أشمل مما جاء هنا بالإجمال، والقرآن الكريم تارة يذكر الخبر مجملًا، وتارة يذكره مفصَّلًا، مثل أصحاب السبت، جاء في البقرة ذكره، وجاء في الأعراف تفصيلًا لخبره.
- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، الصرصر: الباردة الشديدة، العاتية المزعجة.
- قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ ما كانت يومًا واحدًا، أو ساعة واحدة، ولكن كان عذابًا أليمًا وفظيعًا حكمة من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ متتابعة، يسمون صاحب الكي الذي يكوي :حَسَم، أي يعود ثم يكوي ثانية، ثم ثالثة، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ بلياليها.

- قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ نخلة قديمة في عمرها، خوت ذبلت، يبست، سقطت. ودائمًا القرآن الكريم يَذكر مَنظرًا مشاهدًا وصفًا لحال القوم بعد عذابهم، مثل قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 5]، يعرفون العصف ويتخيلونه، إذا حُصِدَ الزرع، ثم عاثت فيه الدَّوابُّ والطُّيورُ والسِّباعُ يكون شكله بشعًا.
- قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ انتهى أمرهم، هذا العذاب لو كان ساعة واحدة لقضى عليهم، ولكن الله جعله سبع ليال وثمانية أيام من باب شناعة جرمهم وخطيئتهم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

